«قضيّة» محمود درويش

أثار مجيء شاعر المقاومة محمود درويش الى القاهرة ردود فعل مختلفة في اوساط المثقفين العرب جعلت منه في نهاية المطاف « قضية » يناقشها المعنيون بحظوظ متفاوتة من الموضوعية والنزاهة، او من التهجم والتقريع.(١) .

ولا نريد هنا ان ندخل طرفا في النقاش ، ولكننا نعتقد ان « الادانة » التي ظهرت في موقف بعض الشعراء والكتّاب والتي تشجب تصرّف محمود درويش ، انما هي على اقل تقدير حكم مسبّق لا يرتكز الى مبرّرات متجردة .

اننا لا نستطيع ان ننسى ان محمود درويش رجل مناضل عانى من اضطهاد السلطات الاسرائيلية ومن السجن والاقامة الجبرية والقيود ما يكشف عنه كثير من شعره . ولا نحسب ان من حقنا نحن البعيدين عن كل اضطهاد ، المتمتعين بكامل حريتنا ، ان ندينه او ان نضعه موضع الشك .

ويجب الاّ ننسى بعد ذلك ان الذي يعنينا ، في المقام الاول ، من أمر محمود درويش انه « شاعر »، وان الحكم عليه او الحكم له انما ينبغي ان يصدرا من هذه الزاوية . ونحن لا نحاول هنا ان ننفي تأثير « الموقع » على « الموقف » ، ولكننا نتحاشى ان نبتسر الامور ونستبق الاحداث . فلقد جاء محمود الى القاهرة لا كمناضل فحسب ، بل كشاعر مقاوم بالدرجة الاولى . ولم يمض على اقامته في عاصمة الجمهورية العربية المتحدة الا وقت قصير لا يكاد يكفي للتخلّص من الانوار التي سلطت عليه لينصرف بعد ذلك الى مهمته الاساسية التي جاء من اجلها : المضيّ في انتاج شعر المقاومة دفاعا عن حق الانسان العربي في فلسطين ، والانسان العربي عامة .

ان عالما آخر سينفتح الآن لهذا الشاعر . ولا نودان نتنبأ بما سوف يستوحيه منه ، حتى لا نقع في ما نأخذ على الآخرين الوقوع فيه . ولكن التجربة العربية الواسعة والاحتكاك بانماط اخرى من المثقفين العرب واستكشاف اجواء مختلفة عن الاجواء التي عاشها محمود درويش في الارض المحتلة ، كل ذلك حريّ به ان يثري تجربته الشعرية وان يغنيها بأبعاد جديدة قد يكون شعره أصبح بحاجة اليها .

نقول ان ذلك « قد » يوّفر له اغناء طاقته الشعرية الخلاّقة . فالامر متوقف على انتاجه الجديد بالذات، هذا الانتاج الذي يترقبه قراء شعره الكثيرون ، حتى اذا نشر منه قدرا كافيا لتبيّن آفاقه الجديدة وتعمق جوانبها ، أصبح من حق هؤلاء القراء واولئك النقاد والكتّاب ان يصدروا حكمهم : فاما ان يدينوا محمود درويش بنضوب شاعريته وجفاف قريحته ، وقد يكون من حقهم ان يعزوا ذلك الى انتقاله من موقعه القديم الى موقعه الجديد ، واما ان يحكموا له باغتناء شاعريته واضافة نغمات جديدة الى نشيد المقاومة العربية ، وقد يكون من حقهم كذلك ان يعزوا هذا الى انتقاله من موقعه القديم الى موقعه الجديد !

ونحن نعتقد ان هذا الانتقال ، في الوقت الذي يتيح فيه لمحمود درويش ، اجواء من الحرية والانطلاق لم تكن متوفرة له في الارض المحتلة ، يلقي على عاتقه مهمة اصعب ومسؤولية اكبر في الانتاج الشعري الذي هو الميزان الوحيد العادل .

سهيل ادريس

---

(١) هذا لن يمنع « الآداب » من نشر بعض الآراء لاتاحة الفرصة للمناقشة الموضوعية .